ليبيا ١٩٨١ - ١٩٨٩
رونالد ريغان يقابل ندّه

جماهير الناس الكبرى تميل في أعماق قلوبها إلى أن تصاب بالفساد وليس أن تتجه نحو الشر عن وعي وعن قصد.. ولذلك ونظراً للبساطة البدائية لعقولهم فإن وقوعهم ضحية لكذبة كبرى أسهل كثيراً من وقوعهم ضحية كذبة صغيرة لأنهم هم أنفسهم يكذبون في الأمور الصغيرة ولكنهم يخجلون من الأكاذيب إذا كانت مفرطة في ضخامتها.

ادولف هتلر[١]

أعلن رئيس الولايات المتحدة «أن الدليل الذي نملكه هو دليل مباشر ودقيق ولا يمكن دحضه». كان الرئيس الأمريكي يشرح سبب القصف الجوي الأمريكي لليبيا يوم ١٤ نيسان ١٩٨٦ انتقاماً من التفجير الليبي قبل ذلك بتسعة أيام لنادٍ ليلي في برلين الغربية يتردد عليه الجنود الأمريكيون، ما أدى إلى مقتل جنديين ومدني واحد وجرح آخرين كثيرين[٢].

في واقع الأمر الدليل على المسؤولية الليبية عن هذا التفجير لم تعرض على العالم إطلاقاً لا بصورة مباشرة ولا باختصار. ولكن لم يأبه أحد كثيراً بذلك. فعلى امتداد أكثر من عقد من السنين كان يقال دائماً للرأي العام الأمريكي أن الزعيم الليبي معمر القذافي كان وراء الأعمال الإرهابية الواحد بعد الآخر في كل جزء من العالم. قبل الهجوم الأمريكي ببضعة أيام كان الرئيس ريغان قد أشار إلى القذافي قائلاً: «إنه الكلب المجنون في الشرق الأوسط» ذلك كان مجرد مثال آخر.

القنابل التي ألقيت على ليبيا أودت بأرواح عدد من الناس قيل: إنه يتراوح بين ٤٠ و١٠٠ شخص جميعهم ما عدا واحد مدنيون، وأدت إلى جرح أكثر من ١٠٠

آخرين أو نحو ذلك. لقد دمرت السفارة الفرنسية الواقعة في منطقة سكنية. كانت بين القتلى الابنة الشابة المتبناة من قبل القذافي، إضافة إلى فتاة في العقد الثاني من عمرها من لندن كانت تزور ليبيا، كما أن جميع أبناء القذافي السبعة الآخرين وزوجته نقلوا إلى المستشفى لمعالجتهم من الصدمة وجروح مختلفة[٣].

لم تدّعِ الولايات المتحدة أن أحداً من القتلى أو الجرحى كانت له أية علاقة بتفجير النادي الليلي في برلين. وعل غرار إرهابيي الشرق الأوسط الذين ألقوا قنابل يدوية على مكان بيع التذاكر لطائرات شركة العال من أجل قتل إسرائيليين لمجرد أنهم إسرائيليون، وعلى غرار الإرهابيين الذين زرعوا قنبلة في رحلة طائرة بان أمريكان رقم ١٠٣ لقتل أمريكيين لمجرد أنهم أمريكيون، كان قصف ليبيا محاولة لقتل ليبيين لمجرد أنهم ليبيون. بعد الغارة الجوية أعلن (لاري سبيكس Larry Speakes) المتحدث باسم البيت الأبيض: «إننا نأمل أن هذا العمل سيجهض ويثبط الهجمات الليبية ضد مدنيين أبرياء في المستقبل»[٤].

لقد كان القذافي هو الليبي الأول المطلوب قتله من قبل الولايات المتحدة. لقد كان القصف الجوي محاولة اغتيال. قال «ضابط مخابرات تابع لسلاح الجو الأمريكي مطّلع على الأمور» نقلت كلامه جريدة «نيويورك تايمز»: «لا جدال في أن القذافي كان هو المستهدف. هكذا كان يقول الإيجاز الصادر عن المخابرات. كانوا يبغون قتله»[٥] وهذا ما يجب فعله مع كلب مجنون.

عقب ذلك، رفع اثنان من أبناء القذافي دعوى قضائية في الولايات المتحدة لكي يكف الرئيس ريغان عن القيام بمزيد من «محاولات اغتيال» لأسرتهم. لقد زعمت هذه الدعوى، التي رفضتها المحكمة، أن ريغان وغيره من كبار المسؤولين الأمريكيين، بإصدار أوامر لشن الغارات، قد انتهكوا أمراً إدارياً يحظر القيام بمحاولات لاغتيال قادة حكومات أجنبية[٦]. رفعت دعوى قضائية أخرى في واشنطن باسم ٦٥ شخصاً قتلوا أو جرحوا في القصف[٧] في أثناء ذلك كان الأسطول الأمريكي يمنح ١٥٨ وساماً للطيارين الذين أسقطوا قنابل من حجم ٥٠٠ باوند و٢٠٠٠ باوند خلال عتمة الليل على أناس كانوا نياماً [٨].

إن فكرة استهداف عائلة القذافي كان مصدرها وكالة المخابرات المركزية، التي ادعت أن الثقافة البدوية تقضي بتقليص مكانة القذافي إذا لم يتمكن من حماية بيته. «إذا تمكنتم فعلاً من تدمير منزل القذافي – وامتداداً أسرته أيضاً – تكونون قد دمرتم صلة هامة مع الشعب من حيث الولاء»(٩).

ولضمان وصول الرسالة إلى الشعب الليبي، كررت إذاعة صوت أمريكا القول لليبيين، بعد القصف، أن أشياء من نوع «العقيد القذافي هي عبء مأساوي عليكم» وما دمتم تطيعون أوامره عليكم «أن تتحملوا العواقب»(١٠).

ادعاء الرئيس الأمريكي بوجود دليل لا يدحض كان يستند إلى التقاط مزعوم لاتصالات بين العاصمة الليبية طرابلس والسفارة الليبية في برلين الشرقية. لقد أعلن ريغان أن ليبيا أرسلت بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) أوامر إلى السفارة «بارتكاب عمل إرهابي ضد الأمريكيين، والتسبب بأقصى الإصابات بدون تمييز»، ثم إن السفارة نبهت طرابلس بتاريخ ٤ نيسان (ابريل) أن الهجوم سينفذ في اليوم التالي، وأن «طرابلس ستكون سعيدة عندما تقرأ العناوين الرئيسية في الصحف غداً» وبعد عملية التفجير أبلغت السفارة طرابلس بأن العمل كان ناجحاً ولا يمكن تتبع مصدره(١١).

هذه، على أقل تقدير، تفسيرات ونقل ملخص. أما النصوص الحرفية الكاملة، وغير المعالجة، ولم يحذف منها شيء للاتصالات ذات العلاقة، فلم تنشر. كانت هذه الاتصالات قد التقطتها وكالة الأمن القومي وحللت رموزها بمساعدة المخابرات الاتحادية الألمانية التي كانت قد تمكنت قبل سنين من حل رموز الشيفرة الليبية. بعد اكتمال حل الرموز، قالت مجلة (در شبيغل Der Spiegel)، كبرى المجلات الألمانية. إنه لم يكن واضحاً ماذا جاء في البرقيات المرسلة فعلاً، إذ كانت هناك صيغ مختلفة. علاوة على ذلك، توصلت وكالة الأمن القومي الأمريكية والمخابرات الألمانية الاتحادية، إلى استنتاجات مختلفة حول معنى الرسائل «ولكن هذه الاختلافات

طويت بسرعة لأسباب سياسية». «إن مسؤولي الأمن الألمان، الذين أصروا على عدم التركيز على ليبيا وحدها في التحقيق وحذروا من «اتهام سابق لأوانه»، وجهوا أنظارهم أيضاً إلى جماعات الديسكو المتنافسة وإلى المتاجرين بالمخدرات» وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧، قال مسؤول كبير في بون للصحفي (سيمور هيرش Sey- mour Herch) المتابع للتحقيق: ان الحكومة الألمانية مستمرة في «نقدها الشديد وتشككها» في الموقف الأمريكي الذي يربط بين ليبيا والتفجير، وفي نهاية العام التالي أعلنت ألمانيا انتهاء التحقيق[١٢].

قال هيرش «بعض مسؤولي البيت الأبيض كانت عندهم شكوك فورية في أن القضية ضد ليبيا كانت واضحة المعالم. أكثر من ذلك، كان معروفاً أن مقهى الديسكو هو مكان يكثر الجنود السود التردد عليه، ولم يعرف إطلاقاً عن الليبيين أنهم يستهدفون السود أو أقليات أخرى»[١٣]. لكن كما رأينا في حالات أخرى عديدة، موقف حكومة واشنطن الرسمي، عندما يتكرر مرات كافية، يتحول إلى حقيقة رسمية. بعد مرور ثلاث سنوات على الحادث، صار بإمكان مجلة «تايم» أن تذكر كأمر حقيقي، أن «إرهابيين مدعومين من ليبيا فجروا مقهى ديسكو في برلين الغربية» ما وفر عذراً للقصف «الثأري» الأمريكي[١٤].

لقد جرى الكثير من تخطيط واشنطن السري للعملية الليبية في الوقت ذاته الذي كانت تجري فيه المحادثات السرية وصفقة الأسلحة مع إيران. وهكذا، فإن إدارة ريغان كانت ماضية في إزالة أحد مصادر الإرهاب في الشرق الأوسط بينما كانت تسلح مصدراً آخر، علاوة على ذلك شملت المهمتان بعضاً من ذات رجال الأمن، وخاصة (جون بويندكستر John Poindexter) و(اوليفر نورث Oliver North).

ومع أن إدارة كارتر لم تنفذ أية هجمات عسكرية علنية على ليبيا، إلا أنها ربما كانت متورطة في عمل سري خطير جداً. ففي ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٨٠ دمر صاروخ طائرة ركاب إيطالية فوق البحر الأبيض المتوسط، وأودى ذلك بأرواح ٨١

شخصاً، وفي الوقت ذاته كانت طائرة ليبية لعل القذافي كان يستقلها، تطير في الجوار. مراقبو حركات الطيران الإيطاليون سجلوا رحلتها على أنها رحلة «شخصيات عامة رقم ٥٦ VIP ٥٦» أذاع تلفزيون الدولة الإيطالية أن الطائرة أسقطت خطأ بصاروخ من أحد بلدان حلف شمال الأطلسي، ربما إيطاليا. بعد ذلك بعام، جاء في نبأ صادر عن وزارة الدفاع الإيطالية، أن الصاروخ الذي استعمل كان من نوع (سايدوندر Sidewinder) الذي يطلق من الجو إلى الجو، وهو سلاح يستخدمه حلف شمال الأطلسي. وبدأت الصحافة الإيطالية تتكهن عن خطة فاشلة لاغتيال الزعيم الليبي، وبدلاً من ذلك أُسقِطت الطائرة الإيطالية بسلاح إحدى دول حلف الأطلسي. (في الوقت ذاته الذي وقعت فيه الكارثة ألمح القذافي إلى أن الولايات المتحدة هي المسؤولة) لقد أصدرت كل من الولايات المتحدة وفرنسا - خصمَي ليبيا الرئيسيين - إنكاراً كما أن حلف شمال الأطلسي أصدر إنكاراً، ولكن الجهات العسكرية الإيطالية بذلت أقصى الجهود لإخفاء معلومات عن القضية. مع ذلك اعترف ضابط في سلاح الجو بتدمير شريط الرادار الخاص بذلك المساء، كما أن تحقيق السلطات المدنية أوحى أن كثيرين من رجال سلاح الجو جرى إقناعهم بأن يكذبوا أو أن «ينسوا» هذا الحادث [١٥].

تولى رونالد ريغان وزملاؤه المتطرفون في عقيدتهم مناصبهم في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٨١ ملتزمين بعملية نقل واسعة للثروة من الفقراء إلى الأغنياء. إحدى الطرق المحورية التي حققوا فيها هذا الهدف ببراعة كانت زيادة الميزانية العسكرية زيادة كبيرة، بمعنى الرفاه للأغنياء ولأصدقاء وزارة الدفاع وشركاء العمل التجاري ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. ولكن لكي يتمكن تجمع الصناعات العسكرية والمخابرات من إقناع الرأي العام الأميركي والكونغرس بذلك، كان لابد من بيع مواد جديدة للحروب، ونشوء نزاعات مسلحة، وانشقاقات على الحكومات، والعمل ضد هذه الانشقاقات.. أو إطلاق شائعات و «تهديدات» من هذا النوع.. وأعداء ولاسيما من النوع المرعب الذي يجب الدفاع عن النفس ضده.

كان القذافي شخصاً رهيباً: متقلباً، لا يمكن التنبؤ بأعماله، متعجرفاً من الطراز الأول. وقائداً من العالم الثالث، يجلس فوق تاسع أكبر احتياطي للنفط في العالم، ورجلاً له قناعات متجذرة بالوحدة الإسلامية والعروبة ومعاداة الإمبريالية ومعاداة الصهيونية، وثورياً كثير التفاخر بنفسه، وفي عمر الشباب حيث إنه يستطيع أن يكون في آن واحد فزّاعة ومهرجاً، رجلاً ينفذ أو يدعم الكثير من الأعمال الإرهابية الحقيقية بحيث إن أية مبالغة بشأنه تكون قابلة للتصديق.

كانت هنالك عناصر خصام شخصي مرير بين الرجلين. رونالد ريغان - رجل كان يلعب بالضربات الجوية وكأنه يقوم بإخراج مشاهد سينمائية - اختار أن يخاصم رجلاً كان مثله أسير الأيديولوجية وترك أثره على الإعلام العالمي بسلسلة من الملاحظات والأعمال العقائدية وكذلك بواسطة أقوال بسيطة وغبية. (قال القذافي: إن جميع الأنبياء العظماء في العصور الحديثة جاؤوا من الصحراء ولم يكونوا متعلمين: «محمد ويسوع وأنا شخصياً»)[١٦].

بيد أن الزعيم الليبي كان يتمتع بوعي اجتماعي وهذه صفة لم يُعرف أنها جزء من الحمض النووي «D.N.A» للرئيس ريغان. «أنت لا ترى هنا فقراً أو جوعاً. الاحتياجات الأساسية مؤمنة إلى درجة أكبر مما هي في أي بلد عربي آخر. هذا ما قالته مجلة «نيوزويك» عن ليبيا في عام ١٩٨١»[١٧].

جريمة القذافي الرئيسية في نظر ريغان لم تكن دعمه للجماعات الإرهابية بل إنه ساند المجموعات الإرهابية الخطأ، بمعنى أن القذافي لم يكن يدعم نفس الإرهابيين الذين تدعمهم واشنطن، مثل جماعات الكونترا في نيكاراغوا، ومنظمة يونيتا في أنغولا، والمنفيين الكوبيين في ميامي، وحكومتي جمهوريتي السلفادور وغواتيمالا، والعسكريين الأميركيين في غرينادا. مجموعة الإرهابيين الوحيدة التي دعمها الرجلان معاً هي مجموعة المجاهدين في أفغانستان.

بعض العمليات الحربية الأميركية ضد القذافي، الفعلية منها أو التي جرى التهديد بها، واتهامات ليبيا بالإرهاب، الواقعية منها والمختلقة كان توقيتها يُقصد منه تحريك الشهية الأميركية عندما كان الكونغرس يناقش الميزانية العسكرية أو تقديم مساعدة للإرهابيين المفضلين لدى ريغان، الذين كان يسميهم المقاتلين من أجل الحرية. على سبيل المثال، كان قصف ليبيا بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٨٦ قبل يوم واحد من افتتاح مجلس النواب الأمريكي جولة جديدة في النقاش حول تقديم مساعدة إلى الكونترا. وعندما تحدث ريغان في الخامس عشر من الشهر نفسه قال: «أود أن أذكّر مجلس النواب عندما يصوّت هذا الأسبوع أن الإرهابي الأول القذافي قد أرسل ٤٠٠ مليون دولار وترسانة من الأسلحة والمستشارين إلى نيكاراغوا»[١٨].

وقد أعلن ريغان بُعيد توليه منصبه تعيين مجموعة خاصة لدراسة «المشكلة الليبية». وبدا أن في وزارة الخارجية الأميركية مدرستين فكريتين: مدرسة تدعو إلى الضغط الدبلوماسي على القذافي وأخرى لها وجهة نظر في مزيد من المجابهة. وقد قال أحد المسؤولين: «لا أحد يدعو إلى اللطف معه»[١٩].

سرعان ما جرى إعداد خطة كبرى من قبل وكالة المخابرات المركزية كشفت عنها مجلة «نيوزويك» في شهر آب ١٩٨١: «خطة واسعة النطاق ومتعددة المراحل ومكلفة لإسقاط نظام الحكم الليبي» وتحقيق ما سمته وكالة المخابرات المركزية إزالة القذافي «نهائياً» من السلطة. كانت الخطة تدعو إلى برنامج تشويه إعلامي هدفه إحراج القذافي وحكومته وخلق «حكومة مضادة» لكي تتحدى ادعاءه بالقيادة القومية، وشن حملة متصاعدة شبه عسكرية تشمل عمليات حرب عصابات على مقياس صغير[٢٠].

كان التصعيد فورياً. ففي ١٩ آب اجتازت الطائرات الأميركية «خط الموت الذي رسمه القذافي» أي الحد الذي يصل إلى ١٢٠ ميلاً الذي ادّعته ليبيا في خليج سدرة

وإسقاط طائرتين نفاثتين ليبيتين. إن الولايات المتحدة التي اعتبرت هذه المياه مياهاً دولية، مثلها مثل معظم بقية العالم – مع أن هذا المفهوم قابل للنقاش أكثر عندما يطبق على الطائرات منه عندما يطبق على السفن[٢١] – تعمدت اختيار هذه المنطقة لإجراء مناورات عسكرية وكما كان متوقعاً، بلعت ليبيا الطعم، على الأقل حسب قول واشنطن، التي ادعت أن الطائرات الليبية كانت البادئة بإطلاق النار.

كان القذافي غاضباً واتهم الولايات المتحدة بارتكاب «إرهاب دولي» وقيل: إنه هدد في اتصال هاتفي مع زعيم أثيوبيا باغتيال ريغان[٢٢] وقد رد مسؤول عمل في منصب ضمن وكالة الأمن القومي في عهد ريغان بقوله «إنه لا مراء في أن الشيء الوحيد الذي يجب عمله للقذافي هو قتله. إنه يستحق الموت»[٢٣].

سرعان ما شرعت وسائط الإعلام الأمريكية في نشر أخبار عن تهديدات أطلقها القذافي بقتل ريغان وغيره من كبار المسؤولين الأمريكيين. في شهر تشرين الأول، نشرت قصة مفادها أن السفير الأمريكي في إيطاليا أُخرج من البلاد بسرعة بعد أن اكتشفت السلطات الإيطالية مؤامرة ليبية لاغتياله، «أُجهضت بعد أن رحّلت الشرطة الإيطالية عشرة ليبيين متهمين بالإجرام». ولكن بعض المسؤولين الأمريكيين في واشنطن وروما خالفوا هذه القصة، بينما أيدها مصدر حكومي آخر[٢٤].

بعد شهر كان هناك نبأ عن محاولة لاغتيال دبلوماسي أمريكي في باريس – أُطلقت سبع طلقات على (كريستيان تشابمان Christian Chapman) – الذي وصف القذافي بأنه «القديس شفيع الإرهاب» – بأن ليبيا كانت وراء محاولة قتل تشابمان، مع أنه اعترف بأنه لا يملك معلومات أخرى تدين ليبيا مباشرة. ولكن تشابمان – حسب قول الحكومة الفرنسية – كان قد تلقى مؤخراً بعض التهديدات، منها تهديدات أصلها يمتد إلى طرابلس[٢٥]. بيد أن تحليلاً للحادث نشرته جريدة نيويورك تايمز توصل إلى نتيجة مفادها أن «شيئاً ما أقل تنظيماً من محاولة اغتيال منظمة ربما كان له ضلع في الأمر»[٢٦].

في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) أعلنت الإدارة أن عدداً من الإرهابيين الذين تدربوا في ليبيا قد دخلوا الولايات المتحدة مع خطط لاغتيال الرئيس ريغان أو مسؤولين آخرين. هذا كان حافزاً على إجراء حملة تفتيش واسعة في أنحاء الولايات المتحدة بحثاً عن «الفريق الليبي المكلف بالقتل» وعن أمريكيين يمكن أن يكون هذا الفريق قد لجأ إليهم للمساعدة، ومن ضمن هؤلاء الأمريكيين منظمة وذر Weather - أي الطقس - السرية. آنذاك دخل الصورة الإرهابي الدولي سيء الصيت (كارلوس Carlos)، وقالت الإدارة انها تلقت مباشرة من مخبرين أوصافاً للتدريب وخطط الإرهابيين. كانت تظهر في وسائط الإعلام كل يوم تفاصيل جديدة منذرة بالشر، وكانت وسائط الإعلام قد نسيت أنها كشفت في شهر آب (أغسطس) الشروع في حملة لتشويه الحكومة الليبية إعلامياً[٢٧] قال ريغان للصحفيين: «لدينا دليل وهو (أي القذافي) يعرفه». وقد ألح المراسلون على البيت الأبيض أن يكشف لهم هذا الدليل فقوبل إلحاحهم بالرفض. غير أن بعض المسؤولين، ومن ضمنهم بعض كبار مسؤولي مكتب التحقيقات الفيدرالي قيل انهم متشككون في هذه الأنباء[٢٨].

وصف آنذاك الصحفي (جاك اندرسون Jack Anderson) المجموعة التي قدمت المعلومات عن الجماعة الإرهابية بأنها غامضة وغير موثوقة، وأضاف ان كثيراً من هؤلاء عرفوا بأن لهم علاقات مع المخابرات الإسرائيلية «التي لابد أن عندها أسبابها الخاصة لتشجيع حدوث خلاف بين الولايات المتحدة وليبيا»، إذ ان هناك عداوة متأصلة متبادلة بين إسرائيل والقذافي[٢٩].

في منتصف العام ١٩٨١ شُكلت مجموعة بحث برئاسة (وليم كلارك William Clark) نائب وزير الخارجية الأمريكي للنظر في كامل مسألة القذافي. بعد ذلك بسنوات كتب سيمور هرش ما يلي:

«وفقاً لمصادر رئيسية هناك قليل من الشك لدى مجموعة البحث التي يرأسها كلارك في من هو المسؤول عن تسريب هذا الكم الكبير من أخبار العداء للقذافي - أي وكالة المخابرات المركزية، بتأييد من الرئيس الأمريكي، وهيغ وكلارك.

ويستعيد أحد المسؤولين إلى الذاكرة «أن موضوع مجموعة القتل الليبية لم يستطع هضمه. ولقد جئنا بهذا التهديد الإرهابي الكبير إلى الحكومة الأمريكية. وكان الأمر كله اختلاقاً كاملاً. في نهاية الأمر استنتج أحد أعضاء مجموعة البحث أن وليم كيسي مدير وكالة المخابرات المركزية، كان في الواقع يدير عملية داخل الحكومة الأمريكية: لقد كان يغذي النظام المخابراتي بتشويه المعلومات بحيث يبدو هذا التشويه أخباراً منفصلة ومستقلة وتأخذها الأجهزة الحكومية الأخرى على محمل الجد»[٣٠] وتبين فيما بعد أن معظم القتلة المفترضين كانوا لبنانيين سبق لهم أن ساعدوا في مفاوضات ريغان للإفراج عن رهائن أمريكيين في بيروت وأنهم كانوا يكرهون القذافي[٣١] بعد أن أدت القصة غرضها تلاشت نهائياً.

غير أن الكثير من التهديدات المنسوبة إلى القذافي كانت عبارة عن معلومات غير صحيحة، لقد كانت هناك خطط حقيقية أعدها الغرب لقتله. ففي شهر شباط (فبراير) ١٩٨١، لم يكن بدٌّ من إلغاء مؤامرة فرنسية. كان البحث جارياً لتعاون الولايات المتحدة فيها، عندما فشل الرئيس الفرنسي (جيسكار Giscard) على غير توقع في الانتخابات[٣٢]. وصلت الأمور إلى أبعد من ذلك في عام ١٩٨٤، عندما شاركت وكالة المخابرات المركزية الأجهزة السرية الفرنسية في معلومات استخبارية حساسة من ضمنها صور فضائية ورصد لاتصالات، وذلك من أجل مساعدة الوكالة الأمريكية في أمرين كبيرين على أقل تقدير ولكنهما أمران فاشلان، أي في عمليات لاغتيال القذافي أو الإطاحة به، إذ كان الفرنسيون يرون فيه تهديداً لمصالحهم في افريقيا. إحدى العمليات كانت نتيجتها معركة حامية في ليبيا بين منفيين وموالين للقذافي[٣٣].

وفي عام ١٩٨٥ كان على وزارة الخارجية الأمريكية أن تبذل جهوداً كبيرة لوقف خطة تبناها البيت الأبيض للقيام بعملية أمريكية مصرية برية جوية لغزو ليبيا. لقد وصف وزير الخارجية الأمريكي (جورج شولتز George Shultz) الخطة بأنها «تدل

على الجنون» كما أن زملاءه في وزارة الخارجية وصفوا موظفي مجلس الأمن القومي الذين يسيرون على هواهم بأنهم «أولئك المجانين في البيت الأبيض»[٣٤].

عندما حلّ عيد الميلاد في ذلك العام، وبعد مقتل نحو (٢٠) شخصاً بينهم خمسة أمريكيين في اعتداءات بالقنابل على مطاري روما وفيينا، جرى بسرعة اتهام المشبوهين المعتادين وكانت إيران والفئة الفلسطينية المنشقة برئاسة الشرير أبو نضال في رأس القائمة[٣٥] ولكن إدارة ريغان سرعان ما أضافت القذافي إلى القائمة، معلنة أن وكالة المخابرات المركزية وجدت علاقة ليبية قوية، مع أن كل ما كان لدى إدارة ريغان من أدلّة هو أن جوازات السفر التونسية لثلاثة من الإرهابيين، جرى تتبع أثرها إلى ليبيا. وفي غضون أيام أعلن ريغان أن هناك دليلاً «لا يدحض» يشير إلى دور القذافي في تفجيرات المطارين، مع أنه كان يعلم أن ذلك لم يكن صحيحاً. وفي الوقت ذاته، أُعلِن عن فرض عقوبات اقتصادية جديدة على ليبيا «لإبعاد العقوبات الاقتصادية من الطريق لكي نتمكن من فعل أكثر من ذلك في المرة القادمة»[٣٦]. المرة القادمة كانت في شهر آذار ١٩٨٦ عندما اجتازت طائرات نفاثة تابعة للأسطول الأمريكي مرة أخرى «خط الموت» الذي رسمه القذافي متحدية العمل الثأري، ولما لم يقع أي عمل ثأري عادت هذه الطائرات في اليوم التالي واليوم الذي بعده وهاجمت مرتين موقعاً ليبياً للمدفعية المضادة للطائرات ودمرت ثلاث سفن أو أربعاً. وقد أكدت واشنطن أن ليبيا كانت البادئة في اليوم الثاني بإطلاق عدة صواريخ باتجاه الطائرات الأمريكية.

بعد ذلك بوقت قصير أجرت جريدة «صنداي تايمز» اللندنية مقابلة مع مهندسي الكترونيات كانوا يعملون آنذاك في ليبيا. وقد قال أحد المهندسين: إنه كان يراقب على شاشات الرادار خلال يومي القتال ورأى الطائرات الأمريكية تجتاز ليس فقط المياه الإقليمية الليبية المحددة باثني عشر ميلاً، بل رآها تحلّق أيضاً فوق البر الليبي.

obeikandl.com

قال هذا المهندس: «رأيت الطائرات وهي تطير مسافة تقرب من ثمانية أميال داخل المجال الجوي الليبي. ولا أعتقد أن الليبيين كان لديهم خيار آخر سوى الرد. وفي رأيي إنهم كانوا مترددين في أن يفعلوا ذلك»[٣٧].

عقب الهجوم الأمريكي الأول على ليبيا في شهر آذار، تحدث القذافي هاتفياً مع الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية الذي أبلغ المسؤولين الأمريكيين بعد ذلك أن الزعيم الليبي بدا عميق التأثر بالعنف الموجه ضده. وقد أطلق الملك على القذافي وصف الرجل «الذي لا يمكن فهمه وليس له اتجاه معين» وهو وصف يماثل تقارير أخرى ظهرت خلال الثمانينيات من القرن العشرين وتحدثت عن قذافي شديد الاكتئاب ولا يبدو أنه يفهم ماذا لدى الولايات المتحدة ضده. لقد قام بنحو ٦ محاولات عن طريق أطراف ثلاثة قبل وخلال أحداث شهر آذار لفتح حوار مع واشنطن، ولكن مسؤولي إدارة ريغان صدوا جميع هذه المحاولات. والذين كان من شأنهم أن يكونوا وسطاء أوروبيين وعرباً، ومن ضمنهم الملك فهد، قيل لهم بحزم: إن الولايات المتحدة غير مهتمة «بحوار مباشر أو غير مباشر» مع القذافي[٣٨].

تلك على الأقل كانت السياسة الرسمية أو الوجه الذي يظهر للرأي العام. بيد أنه كانت هناك أنباء تفيد أن البيت الأبيض كان يتعامل سراً مع الزعيم الليبي، ولكن لم يعرف إلى أي مدى كان هذا التعامل. الاتصال المؤكد الوحيد كان عندما اجتمع مع القذافي في ليبيا في شهر تشرين الثاني ١٩٨٥ السفير الأمريكي لدى الفاتيكان (وليم ولسون William Wilson) وقد تبرأت واشنطن رسمياً من هذا اللقاء قائلة: إنه لم يكن مسموحاً به وخسر ولسون منصبه بعد الكشف عن هذا اللقاء[٣٩].

في تلك الأثناء، وطوال مدة إدارة ريغان، كانت الولايات المتحدة تزيد مساعدتها العسكرية إلى البلدان المجاورة مباشرة لليبيا وتجري تمرينات عسكرية مع مصر هدفها استفزاز القذافي، وتفرض عقوبات اقتصادية متعددة الأشكال على ليبيا بدرجات متباينة من عدم الفعالية، محاولة توحيد جماعات المعارضة الليبية في المنفى وتقديم الدعم المالي والتشجيع لها، والشيء ذاته إلى حكومتي مصر وفرنسا

للقيام بأعمال مختلفة ضد القذافي، من بينها الاغتيال. لابد من ملاحظة أن فرنسا - شريكة الولايات المتحدة الرئيسية في «مقاومة الإرهاب» - أغرقت عمداً في عام ١٩٨٦ سفينة «السلام الأخضر Green Peace» واسمها (رينبو ووريور Rainbow Warrior)، فقتلت مصور «غرين بيس». حدث ذلك بموافقة صريحة من الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتران Francois Mitterand)[٤٠].

تشويه المعلومات كان جزءاً منظماً من العملية: تستخدم فيه الصحافة الأجنبية والأمريكية لنشر خطط إرهابية خيالية ليبية جديدة، وللإعلان - مع كل عمل إرهابي جديد حدث في العالم الغربي - أن ليبيا «ربما» كانت مسؤولة عنه لجعل القذافي يعتقد أن مساعديه الرئيسيين الذين يثق بهم إنما هم غير أوفياء له، وأن العسكريين الليبيين كانوا يتآمرون ضده، وأن الخبراء العسكريين الروس كانوا يتآمرون أيضاً ضده، وأن جنوده كانوا يهربون من الخدمة بصورة جماعية، أو أن هجوماً عسكرياً أمريكياً يلوح في الأفق، وكان مأمولاً من هذا النهج أن يجر الرجل إلى أعمال «غير عقلانية». كان التنبؤ بسقوطه الوشيك منتظماً كالتنبؤ بسقوط كاسترو[٤١]. إحدى العمليات شملت إنزال مغاوير من الأسطول على الشواطئ الليبية مخلفين بعد انسحابهم إشارات تشي بهذه الغارات - علب عيدان ثقاب مثلاً وأعقاب سجائر إسرائيلية - لزيادة توتر أعصاب الليبيين وزيادة خوفهم وريبتهم[٤٢].

إن مذكرة أعدها (جون بويندكستر) مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي، في آب (أغسطس) ١٩٨٦، التي بيّنت بوضوح بعض مضمون برنامج تشويه المعلومات، أبرزت نفسها في الوقت الذي كان فيه القذافي «هامداً» على جبهة الإرهاب[٤٣] بعيد ذلك، اعترف أحد كبار مسؤولي إدارة ريغان أمام الصحفيين الأمريكيين بأنهم، إذا ألحّوا للحصول على «دليل دامغ» للاتهامات الموجهة إلى ليبيا، فلن يحصلوا على شيء من ذلك. «سيبدو الأمر وكأننا نصرخ مرة أخرى أن الذئب جاء ليهاجم الغنم»[٤٤] وفي رد على مذكرة بويندكستر - التي كان الكشف عنها قد تسبب بفضيحة صغيرة - استقال (برنارد كالب Bernard Kalb) كبير المتحدثين

باسم وزارة الخارجية الأمريكية وكانت استقالته على سبيل الاحتجاج، لأنه شعر بالقلق على الثقة بأمريكا.. بصدقية أمريكا» و «بأي شكل يلحق الأذى بأمريكا»[٤٥].

الموضوع تسلل إلى البريطانيين، الذين وصف مسؤولوهم التحليل الاستخباري الأمريكي لنيات ليبيا بأنها «جامحة في عدم الدقة»، قائلين: إن هذا التحليل نقل إلى البريطانيين في «محاولة متعمدة للغش»[٤٦].

في المدة ذاتها، وعلى ضوء الأخبار الأمريكية (التي ولّدتها مذكرة بويندكستر) عن احتمال توجيه ضربات جديدة إلى ليبيا انتقاماً من أعمال إرهابية مزعومة كان يخطط لها نظام حكم القذافي، دعا رئيس وزراء ليبيا النشيط الولايات المتحدة لتقديم تفاصيل الأعمال المزعومة لكي تتمكن ليبيا من «التعاون بصورة كاملة لتفادي وإجهاض هجمات من هذا القبيل وللقبض على الأفراد الفاعلين وتقديمهم للمحاكمة». وقال: إن طلبه هذا، الذي أرسل إلى واشنطن عبر القنوات الدبلوماسية، ظل بدون جواب[٤٧]. في اليوم التالي، تحدى القذافي في خطاب ألقاه في ليبيا، الولايات المتحدة أن تقدم بيانات مصرفية تظهر أن ليبيا موّلت الإرهاب[٤٨].

قال أحد أبناء إيرلندة (a son of Erin) ذات مرة: «إن نصف أكاذيبهم عن الإيرلنديين ليست صحيحة». إن استخدام المعلومات الكاذبة عن القذافي وليبيا من قبل الولايات المتحدة بصورة منتظمة أحاطت الصورة التاريخية بالضباب بحيث صار في منتهى الصعوبة أغلب الأحيان، الفصل بين الواقع والخيال، والتمييز بين دعم ليبي معنوي أو رمزي، ومجرد وعود إلى حركة ثورية بدعم كبير وحيوي. وحقيقة إن إدارة ريغان شعرت بالحاجة إلى شن حملات تزييف معلومات ضد ليبيا، إنما تؤشر إلى ندرة في مواجهة ليبيا وهو متلبسة بالإرهاب.

في الأول من أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ قاد النقيب معمر القذافي مجموعة من رفاقه الضباط في عملية خالية من سفك الدماء لإسقاط النظام الملكي وتأسيس الجمهورية العربية الليبية. وعلى الرغم من «إثارة المتاعب» له في الخارج، حافظ في البداية على حظوته عند الغرب – لقد أحبطت الولايات المتحدة ثلاث مؤامرات

خطيرة ضد حكمه خلال السنتين الأوليين[٤٩] - بسبب عدائه الشديد للشيوعية. هذا العداء الناشC أساساً من فهمه لإلحاد الماركسية الضمني بمعناه الظاهري معتبراً إياه خصماً للعقيدة الإسلامية. لكن ذلك لم يمنعه من محاولة إجراء تغييرات اجتماعية واقتصادية ثورية في المجتمع الليبي اعتبرها الآخرون تغييرات ماركسية. هذا، إضافة إلى الدخول في اتفاقيات لتطوير استخراج النفط واتفاقيات للحصول على السلاح من الاتحاد السوفييتي، ربما كانت بداية النهاية لتسامح الغرب مع مغامراته الخارجية[٥٠].

خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، كان القذافي متهماً باستخدام عائداته المالية الكبيرة من النفط لكي يدعم - بالمال، والسلاح، والتدريب، وإقامة المكاتب، وتوفير الملاذ الآمن، وبالدبلوماسية و/أو بالأعمال التخريبية عامة - طيفاً واسعاً من المنظمات الراديكالية: والمنشقة عن حكوماتها/ والإرهابية، وخاصة فئات فلسطينية وحركات إسلامية منشقة عن حكوماتها وحركات أقليات في أجزاء مختلفة من الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا، وكذلك منظمة الجيش الجمهوري الإيرلندي ومنظمتي الباسك وكورسيكا الانفصاليتين في أوروبا، وعدة مجموعات كانت تناضل ضد نظام الابارتيد - الفصل العنصري - في جنوب افريقيا، و(نورييغا Noriega) في بنما والجماعات والسياسيين المنتمين إلى المعارضة في كوستاريكا Costarica، و(سانت لوسيا St. Lucia) وجامايكا، ودومينيكا، والمستعمرات الفرنسية في البحر الكاريبي: غواديلوب، وغيانا الفرنسية وجزر المارتينيك، والجيش الأحمر الياباني، والألوية الحمراء الإيطالية، وعصابة (بادر ماينهوف Baader Meinhof) الألمانية.. وليس هناك نهاية لهذه القائمة.

وكان هناك ادعاء أيضاً بأن ليبيا كانت وراء، أو على الأقل ذات علاقة، بمحاولة قتل البابا يوحنا بولس، واغتيال الرئيس المصري أنور السادات، وتلغيم قناة السويس، ومحاولة تفجير السفارة الأمريكية في القاهرة، والعديد من أعمال خطف الطائرات، وتفجير قنبلة في طائرات ركاب أمريكية فوق اليونان وتفجير كنيس يهودي في

استانبول، والعمل لزعزعة استقرار حكومات تشاد، وليبيريا، والسودان وبلدان أفريقية أخرى.. ثم إن.. القذافي كان يتعاطى المخدرات، مفرط في ميله للنساء، وكان مخنثاً، يلبس ملابس النساء، ويتزين بزينتهن، ويحمل دمية على هيئة دب، ومصاباً بنوبات من الصرع..[٥١].

الأمر الأكثر تأكيداً هي حقيقة أنه على مدى سنوات عديدة كان يستعين بأفراد من وكالة المخابرات المركزية، ولاسيما (ادوين ولسون Edwin Wilson) و(فرانك تربيل Frank Terpil) لتزويده بالطائرات والطيارين والميكانيكيين والمدربين من (معتمري القبعات الخضر Green Beret instructors) وكل أنواع الأسلحة المعقدة والمعدات والمتفجرات، وللمساعدة في إقامة معسكرات تدريب لشبه العسكريين في ليبيا[٥٢].

واستنتجت منظمة العفو الدولية في عام ١٩٨٧ أن ليبيا اعتدت على ما لا يقل عن ٣٧ من الأشخاص الذين انشقوا على القذافي والمقيمين في الخارج منذ عام ١٩٨٠، وقتلت منهم ٢٥ شخصاً[٥٣].

في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩ أضافت وزارة الخارجية الأمريكية إلى أفضال القذافي تأكيدها أن ليبيا كانت تموّل وتدرب «أفراداً وجماعات راديكاليين أنشطتهم تفاقم المشاكل المحلية» في تايلاند، والفلبين، وأندونيسيا، واليابان وكاليدونيا الجديدة. قبل ذلك ببضعة شهور، كانت وكالة المخابرات المركزية قد اتهمت ليبيا ببناء أكبر معمل للغازات السامة في العالم[٥٤]. وفي آذار (مارس) ١٩٩٠ شب حريق في المعمل المذكور فأتت عليه النيران كلياً. وعلى الفور أكد الرئيس بوش شخصياً للعالم أن لا علاقة للولايات المتحدة «إطلاقاً» بالحريق. قبل ذلك بأسبوع سئل المتحدث باسم البيت الأبيض هل يمكن أن تتخذ الولايات المتحدة إجراء عسكرياً لتدمير المعمل. كان الجواب «لا نستبعد أي شيء»[٥٥].

وفي شيكاغو، أعضاء عصابة شوارع..

«أدينوا في أواخر عام ١٩٨٧ بالتخطيط لأنشطة إرهابية» الادعاء العام في الولايات المتحدة اتهم العصابة بأنها، حسب المتوقع، ستحصل على ٢,٥ مليون دولار من ليبيا للقيام بمحاولات اغتيال سياسيين أمريكيين والاعتداء على طائرات ومنشآت حكومية أمريكية»[٥٦].

هذا، بكامله، ما روته جريدة «لوس انجلس تايمز Los Angeles Times)، وبدا كأن زعيم ليبيا وراء ذلك مرة أخرى. في الواقع، «الاغتيالات» سواء أكانت في مرحلة التخطيط أو التنفيذ، لم تكن إحدى التهم الموجهة إلى ليبيا، ولم يقدم أي دليل إطلاقاً في المحاكمة على أن ليبيا كانت لها أية علاقة بالشروع في هذه الأعمال أو تشجيعها، أو انها دفعت أو وعدت بدفع أية أموال. كان أفراد عصابة الركن، وهي فرقة إسلامية، وساذجة في التطرف، قد التقوا مع ممثلين لليبيا في نيويورك، وبنما وليبيا، وتوددوا إليهم محاولين إقناعهم بقدراتهم البطولية وولائهم للقذافي، ملهم هؤلاء هو زعيم «أمة الإسلام» لويس فرقان، الذي يقال: «إن ليبيا وعدته بمبلغ خمسة ملايين دولار. فإذا كانت عصابة الركن قد تلقت وعداً بمبلغ ٢,٥ مليون دولار - وهذا بحسب قولها - يبدو لنا كلا الوعدين ليسا أكثر من مسرّات القذافي الثورية. (ادعى الجيش الجمهوري الايرلندي أيضاً أنه لم يتسلم أية أموال من ليبيا، خلافاً لمزاعم القذافي[٥٧]. لعله نوع من العداء لليبيا الذي تغذى به الشعب الأمريكي خلال أكثر من عقد من السنين، هو الذي جعل أعضاء العصابة - عبر استخدام الحكومة مخبرين مشكوك في أمرهم أو عبر الإيقاع بالناس - يحكم عليهم من قبل هيئة المحلفين بأنهم مذنبون بالتآمر، وصدرت بحقهم أحكام بالسجن مدداً طويلة غير اعتيادية. وقيل: إن تلك كانت أول مرة أدين فيها مواطنون أمريكيون بتهم ارتكاب أعمال إرهابية[٥٨].

يبدو الأمر أشبه بأفلام رعب سينمائية من الدرجة الثانية. عشر مرات ينبعث هذا الأمر من الموت ويندفع باتجاه المشاهدين، وعشر مرات يتفتت إلى شرائط، فيتعثر ويسقط إلى الخلف، وينهار في كومة على الأرض، وعشر مرات ينهض مرة

أخرى ويسير الهوينى إلى الأمام. ولكنه ليس شبح مومياء، ولا يجوس أعالي النيل. إنها الفكرة القائلة: إن الزعيم الليبي العقيد معمر القذافي مسؤول عن كل عمل إرهابي في سائر أنحاء العالم، وهذه الفكرة دائبة التردد على صفحات الصحافة الغربية وعلى شاشات أجهزة التلفزيون في الغرب[٥٩].

رحلة طائرة بان أمريكان ١٠٣

في ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨، انفجرت طائرة بان أمريكان في رحلتها رقم ١٠٣ فوق بلدة لوكربي، اسكتلندة، مما أدى إلى مقتل ٢٧٠ شخصاً أكثر من نصفهم أمريكيون. بعد ذلك بخمسة أعوام أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن وكالة المخابرات المركزية «واثقة» أن الأوغاد الذين زرعوا قنبلة في الطائرة أعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة، بزعامة أحمد جبريل، ومركزه في سورية، وقد استأجرتهم إيران للانتقام من إسقاط الأمريكيين طائرة ركاب إيرانية[٦٠] ومع أنه لم يكن بالإمكان فعل الشيء الكثير لاعتقال أحمد جبريل وأعوانه، فإن هذا الرأي ظل الرأي الرسمي الأمريكي المؤكد والذي تكرر مراراً، مع أن سورية وإيران اعتُبرتا المفتاحين اللذين يؤديان إلى الإفراج عن الرهائن الغربيين المحتجزين في لبنان. ثم إن شيئاً غريباً حدث في العام ١٩٩٠. ذلك أن الولايات المتحدة كانت تستعد لشن حرب على العراق. فما قولكم في من برز كواحد من حلفائها مرسلاً قوات إلى المملكة العربية السعودية للجهاد ضد صدام حسين؟ لم يكن هذا الواحد سوى أرض سورية التي تشكل ملاذاً للإرهابيين. ومن هي الجهة التي كانت تسعى واشنطن لكسبها إلى جانبها في الحرب؟ إنها إيران الشريرة. هذا لم يُجدِ نفعاً. ففي مطلع شهر تشرين الأول أعلن مسؤولون أمريكيون أن دليلاً اكتشف حديثاً يؤشر إلى أن عملاء المخابرات الليبية ربما كانوا هم الذين صنعوا القنبلة وزرعوها في الطائرة. ولكنهم لم يلبثوا أن نوهوا بأن هذا لا يعفي إيران وسوريا والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة، من مسؤولية المشاركة في العمل[٦١].

بعد الحرب تسربت، شيئاً فشيئاً، قضية اتهامية مشهورة ضد ليبيا، إلى أن وجهت التهمة في ١٤ تشرين الثاني ١٩٩١ إلى اثنين من مسؤولي المخابرات الليبية غيابياً باعتبارهما مرتكبي الفعل. وقد أكد رئيس القسم الجنائي في وزارة العدل الأمريكية في اليوم ذاته أنه لا يوجد دليل على صلة لأي من إيران أو سورية بتفجير الطائرة «ونحّى جانباً الكلام عن أن هذا الاستنتاج كان بتأثير رغبة الولايات المتحدة في تحسين العلاقات مع سورية»[٦٢]. وخلال العشرين يوماً التالية أفرج عن أربعة رهائن أمريكيين كانوا لا يزالون محتجزين في لبنان ومعهم الرهينة الأبرز وهو البريطاني (تيري ويت Terry Waite).

وما قولكم في الدليل ضد الشخصين الليبيين؟ إنهما قطعتان من معدن بحجم أظافر الأصابع قيل: إنهما من أجهزة للتوقيت الإلكتروني. ينبغي للمرء أن يقرأ الرواية التفصيلية لما تستند إليه القضية ضد ليبيا لكي يتمكن من تقدير هزالها بالكامل[٦٣]. علاوة على ذلك، عرض برنامج «الصمت عن لوكربي Silence over Lockerbie) الذي أذاعته محطة الإذاعة البريطانية (C.B.B) في شهر كانون الأول ١٩٩٣، وقدمت فيه نتائج جديدة تلقي شكوكاً كبيرة على القضية ضد ليبيا وتشير فيها إلى أن بريطانيا والولايات المتحدة اتهمتا ليبيا من أجل تحويل الشكوك عن سورية وإيران. كانت المعلومة الجديدة الهامة هي أن الرجل السويسري الذي يصنع أجهزة التوقيت الالكتروني غيّر إفادته السابقة التي قال فيها: إن ليبيا هي الوحيدة التي اشترت أجهزة من هذا القبيل. لقد تذكر الآن أنه كان قد باع أجهزة توقيت الكتروني إلى ألمانيا الشرقية أيضاً، وكانت هناك صلات وثيقة بين الشرطة السرية في ألمانيا الشرقية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة، وغيرها من الجماعات العربية الإرهابية. والأهم من ذلك أن مهندساً يعمل في شركة لصناعة الساعات في سويسرا أعلن أنه كان قد أبلغ المحققين في قضية لوكربي الصلة مع ألمانيا الشرقية في أواخر عام ١٩٩٠، وهذا يعني أن المحققين الدوليين كانوا يعلمون أن اتهامهم لليبيا فيه ثغرة كبيرة، إن لم تكن قاتلة، إما قبل إعلان الاتهام في تشرين

obeikandi.com

الأول، أو بعد ذلك بوقت قصير[٦٤]. «لقد أعلن (فولكرراث Volker Rath) المدعي العام الألماني والمختص بقضية لوكربي، في عام ١٩٩٤ أن ما من قاضٍ ألماني يمكنه أن يسجن الشخصين المشتبه بهما على أساس الدليل الراهن»[٦٥].

حاشية: في عام ٢٠٠٣ أعلنت الحكومة الليبية قبولها «المسؤولية» عن تفجير الطائرة في عام ١٩٨٨ - ولكن دون أن تعترف بدور فعلي في ذلك الحدث - على أمل إنهاء العقوبات المفروضة عليها من الولايات المتحدة والأمم المتحدة. لقد وافقت ليبيا على ذلك لأن ليبياً اعتُبرت في عام ٢٠٠١ مذنبة بزرع القنبلة خلال محاكمة جرت في لاهاي. بيد أن هذه المحاكمة اعتبرت على نطاق واسع مهزلة[٦٦].

القذافي الجديد؟

لعل معمر القذافي المصاب غالباً بالاكتئاب بدأ يفهم - بعد أن وجد طريقه عبر المعلومات المزورة - لماذا تتهمه الولايات المتحدة والحكومات الأخرى. لقد بدا في النصف الثاني من عام ١٩٨٨ وكأنه نضج، وشرع في جملة من التبديلات التقدمية في المجتمع الليبي إذ حرر الحريات المدنية وأفرج عن مئات من السجناء السياسيين، وألغى القيود المفروضة على السفر إلى الخارج وحرر الاقتصاد «مطلوب من جميع الليبيين أن يصبحوا بورجوازيين». وفي الوقت ذاته تصالح أو حسّن العلاقات مع عدد من الدول الأفريقية المجاورة[٦٧].

ولكن مع بداية العام ١٩٨٩ وبينما كانت واشنطن تستعد للتحول من رونالد ريغان إلى جورج بوش، احتفلت الولايات المتحدة بهذه المناسبة عن طريق القيام ببعض «المناورات العسكرية الأخرى في ساحة ليبيا الخلفية وأسقطت طائرتين ليبيتين أخريين. وقد رأت وزارة الخارجية الأمريكية من المناسب آنذاك أن تصدر روايتها الأكثر تفصيلاً حتى ذلك الحين عن تورط ليبيا في الإرهاب الدولي - «وهذه محاولة لإبقاء الضغط الدولي على ليبيا» حسب ما ورد في جريدة «لوس أنجلس تايمز»[٦٨]. مع ذلك استمر القذافي في إظهار شخصيته الجديدة. فقد أعلن أنه

اتخذ قراراً بقطع أو تقليص تدفق الأموال إلى مجموعات أجنبية مختلفة وأنه أبلغ العديد من الجماعات الفلسطينية أنها لم تعد تتلقى تمويلاً مباشراً من حكومته وأن عليها أن تقفل مكاتبها في ليبيا. واعترف أيضاً بأن ليبيا سبق لها أن مولت جماعات إرهابية ولكنه قال: إنها لم تعد تفعل ذلك - «عندما اكتشفنا أن هذه الجماعات تتسبب بالأذى أكثر مما تفيد القضية العربية أوقفنا مساعداتنا لها نهائياً وسحبنا تأييدنا لها» - مضيفاً إلى ذلك أنه لا يرغب في أية مجابهة مع واشنطن[٦٩].

إن الولايات المتحدة لم تقتنع بأي شيء من هذا الكلام. ولعلها شعرت أنها لن تجني أية فائدة من تقليص حملتها على القذافي، وإنما كانت بذلك ستخسر عدواً.

obeikandl.com